سلسلة ورقة بحث (١٤)

الحالة المعرفية الثالثة

الفكر في لحظات ما بعد الولادة

ميثاق طالب كاظم الظالمي

الحالة المعرفية الثالثة

الفكر في لحظات ما بعد الولادة

ميثاق طالب كاظم الظالمي

(٢) .... الحالة المعرفية الثالثة

دُرِست المعرفة في مجالات بحثية فكرية وفلسفية متنوعة ودُرِست أركانها ومتعلقاتها كالعلم والجهل وقيمة المعرفة وأصلها واتحادها وانفصالها وتعقلها وتصورها واتساقها واضطرابها ، إلاّ أن هذه السعة البحثية والكم المعلوماتي المتدفق من نتاجات السابقين على اختلاف مشاربهم لم تثن الفضول العلمي من السير قدما لتسليط الضوء واعادة القراءة لمفاهيم اعتقدنا أن ملفاتها أُغلقت وأن قضاياها صارت من الماضي ، فدفعني حب المعرفة لإثارة سؤال عن الفكر في لحظة قصيرة من عمر الزمن ، لحظة غامضة ولغز محير لي على أقل تقدير ، وربما هو واضح لغيري لكن قصور عقلي دفعني أن ابحث بما أمتلكه من أدوات تناسب مستوى تفكيري ، لذا سأبدأ بسؤال تقليدي يفتح اسئلة ونقاشات اخرى تباعاً :

ما هو الجهل ؟ الجهل : هو اللاعلم كما عرّفه أهل المنطق ـ مع تفاوت في القيود المضافة ، وقد ذكروا له تعريفات وبحوثاً وأقساماً يستطيع الباحث مراجعتها ومعرفة تفاصيل مهمة حول ذلك الشيء الذي اسمه الجهل من الكتب المُتخصصة في ذلك [1].

(١) هنالك مصادر كثيرة نكتفي بذكر اثنين منها :

- (الجهل المضاد للعلم) / موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب .
- (الجهل عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون عالماً) / كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم .

لكن أنا كيف سأفهم الجهل ؟ لو كنت جاهلاً كيف لي أن أفهم جهلي ؟

ربما تتطلب منّا هذه المعرفة أن نعرف أين يوجد هذا الشيء الذي أسمه الجهل ، هل يمكن أن يُوجد في هذه الورقة ؟ هل يمكن اعتبار هذه الورقة التي أكتب عليها أنها جاهلة ؟

هم يقولون إن الورقة لا يمكن ان تُوصف بالعلم والجهل لأن طبيعتها غير قادرة على أن تحمل مفهوماً كالعلم والجهل ، هم يرجعونها إلى مصطلح اسموه الملكة وعدمها باعتبار أن الورقة ليست من شأنها أن تكون عالمة أو جاهلة ، لكن كيف عرفنا ذلك ؟ كيف عرفنا أن هذه الورقة ليست من شأنها أن تكون عالمة أو جاهلة ؟

ما هو معيارنا ؟ وما هي أداتنا في صناعة ذلك المعيار ؟

ربما المعيار كان معياراً مقارناً ، فنحن قارنّا بين الإنسان وبين غيره من الموجودات فوجدنا أن الإنسان يعلم أشياءً ولا يعلم أخرى فأسمينا ما يعلمه علماً وأسمينا ما لا يعلمه جهلاً .

وحين نظرنا إلى هذه الورقة لم نعلم هل أنها تعلم شيئاً وهل أنها تجهل شيئاً آخراً ؟ ولأننا لا نعلم هل أنها تعلم أم لا تعلم فقد حكمنا عليها أنها ليست من شأنها ذلك ، لكن ألا نرى أن شأنيتها شيء وعلمنا بشأنيتها شيء آخر ؟

وبالتالي فإن وصفنا لها بأنها ليس من شأنها أن تعلم ليست سوى حالة نبعت من تفكيرنا اتجاه الأشياء والذي حصل هو عدم علم عندنا اتجاه طبيعة الاشياء في نقطة محددة وهي أنها ـ اي تلك الأشياء ـ هل عندها قابلية للعلم أم للجهل ؟ وهل أنها تعلم ام لا تعلم ؟

إذن في الحقيقة نحن نتعامل مع علمنا اتجاه الأشياء فما نعلمه منها يقابله بكفة أخرى ما نجهله عنها ، وعليه لا أجد تبريراً واضحاً على ترتيبنا أحكاما على أمور نجهلها ولا نعلم بها ، إذن لماذا حكمنا على الورقة بأنها ليس من شأنها أن تعلم أو تجهل ، قد أحتمل تفسيرا لذلك ناتجاً من قدرة تفكيرنا على توصيف العلم وربطه بطريقة لزومية مع آثار معينة ، فالفكر حين عَرَفَ ـ على سبيل الفرض ـ أن الإنسان يمكن وصفه بالعلم او الجهل فإن معرفته هذه اعتمدت على التقاطات التقطها تفكيره من موجودات مختلفة ، فتفكيري يلتقط التخطيط ، النظرات ، السمع ، النطق ، ثم يبدأ بعدها بالمقارنة بين هذه اللزوميات للموجود العالِم وبين امتناعها للموجود غير العالِم ، لكن هل أن هذا التفسير المحتمل لاكتشاف شأنية الامور مكتمل ؟

لو تأملنا قليلا نجد أن الفكر البشري يعجز عن معرفة شأنية العلم والجهل للأشياء ، فأنا حين انظر الى الموجودات حولي سأجد أن طريقة تعاملي في اكتشاف شأنيتها مضطرب لأني حين أختار الإنسان

كمعيار لتلك الشأنية فما سبب اختياري له ؟ ولماذا اخترت الإنسان ولم أختر الحيوان ؟ واذا أخترت الحيوان فأي نوع من الحيوانات سأختاره ؟ واذا أخترته فلماذا أخترت نوعا معينا بالذات ؟ ولنفترض أني اخترت الانسان كمقياس مثالي لتلك الذات ذات القابلية العلمية فما هو معيار اختياري له ؟ هل لأنه ناطق ؟ فما معنى انه ناطق ؟ بحسب تفكيري فإن النطق لا يعدو كونه وصفا لأمر راقبناه واستنتجناه بتفكيرنا وهو بأي حال من الاحوال مجرد مائز صنعته افكارنا عن الصورة التي رسمناها للإنسان وبالتالي ارجعنا القابلية العلمية الى تلك الصورة المُعدة مسبقا عن الانسان العالم . وبعبارة اخرى نحن صنعنا انساناً عالماً بصفات معينة بأفكارنا التي اخذناها من معلوماتنا الحسية عن الانسان الخارجي وبالتالي صارت تلك الصورة المصنوعة للإنسان العالم والمُتضمنة كجزء من افكارنا هي الصورة الملتقطة من الخارج ابتداءً ؟ والغريب اننا استعملنا تلك الصورة لتمييز الاشياء ذات القدرة على حمل العلم فحكمنا على هذه الورقة بأنها غير عالمة لأننا قمنا بمقارنتها مع الصورة التي صنعناها عن الانسان العالم اضافة الى ذلك فإن الامر محصور بالمقارنة فقط ، فهل يمكن أن تكون عملية اختبار قدرة الورقة على أن تكون متصفة بالعلم والجهل ناتجة من المقارنة فقط ؟

لو دققت النظر لوجدت أن حدودي التفكيرية في صناعة فكرة عن القابليات لا يمكن أن تنفك عن المراقبة والمقارنة لأني اجد نفسي حين ابدأ بمحاولة اكتشاف قدرة شيء وقابليته على أي امر فلا يمكن أن اكتشف ذلك إلا بإجراء مقارنة مع باقي الاشياء . لكن لماذا الفكر يحتاج أن يسير بهذا الاتجاه التفكيري من اجراء حالة مقارنة بين الاشياء إذا أراد أن يحدد قدرة وامكانية تلك الاشياء على التقاط صورة امكانية محددة بذاتها ؟ كيف استطيع وصف صلابة مادة معدنية معينة اذا لم يتم مقارنتها وفق معايير خاصة مع مادة معينة اخرى ؟ وكيف يمكن أن اعرف الشخص المريض من دون علم مسبق بالشخص الصحيح والسليم ؟ اذن قدرتنا في معرفة امكانية الاشياء وقدرتها على أن توصف بالعلم او الجهل هي امكانية تحركها باتجاه واحد الدراسة المقارنة بين الاشياء .

إنَّ بحثي في الدراسة المقارنة في ورقات بحث سابقة [٢] قد وصل الى نتيجة أن هذا النوع من الدراسات ـ على فرض أن فكرة الدراسات المقارنة متداولة علميا وذات طبيعة منطقية مستندة على أنّ الاشياء تعرف بأضدادها ـ لا يمكن ان تكون فكرة ذات ابعاد كاملة كما يوحي بذلك فرضها وصورتها اللفظية ، لذا فإن الدراسة المقارنة ليست إلاّ دراسة نسبية أقامت معاييرها على حدود غيرها والتي

(٢) سلسلة ورقة بحث (١٢) العقبات الفكرية في البحث المقارن .

بدورها تتعرض لتساؤلات حول الطبيعة الاختلافية للأشياء ، وقضية أنّ الاشياء تُعرف بأضدادها لا تستطيع أن تشفع لهذا النوع من الدراسات لتعطيها القدرة المطلقة في معرفة الاشياء فيكون تحديدنا لقدرات الاشياء وإمكانياتها في معرفة ما يمكن أن يكون فيها جاهلا او عالما لا يخلو من نوعين من المشاكل ، فمنها ما يكون مختصا بنفس معايير الاشياء وقابليتها اتجاه العلم والجهل ، ومنها ما يكون متعلقا بالدراسة المقارنة بين الاشياء المختلفة ومنها القدرات الامكانية لتلك الاشياء اتجاه العلم والجهل ، فحتى لو غضضنا النظر عن الدراسة المقارنة بين الاشياء لأي توجيه يمكن تقديمه فلا أرى بحسب تفكيري امكانية غض النظر عن القدرة على تحديد القدرات الإمكانية للأشياء اتجاه اتصافها بالعلم والجهل .

لو سرت بخطوة اخرى وتجاهلت الدراسة المقارنة في تحديد القدرات الامكانية العلمية للأشياء فكيف نتصور الطرق الممكنة للتحديد ؟

يمكن بحسب تفكيري أن اتصور طريقا لتحديد (القدرات الامكانية العلمية للأشياء) ربما استعمالي التعبير قد يكون اصعب دلالة لكنه أكثر اختصارا ، وسأسير هنا بحالة افتراضية في هذا المجال وهي أن أُصَفِّر كل الاشياء في تفكيري ـ إن صح التعبير ـ من حيث قدرتها الامكانية العلمية ، ولكي اقوم بعملية التصفير الكلي عليَّ أن

اتخلى عن كل مقياس محتمل بما في ذلك الصورة الانسانية العالمة وما يدور حولها او يشترك معها بالتركيب الذاتي والخصائص الخارجية الطارئة عليها ، وهنا عليَّ أن أبدأ لا من شيء مطلقا اتجاه القدرات الامكانية العلمية للأشياء ويتساوى الإنسان حينها مع الورقة التي اكتب عليها الآن في القدرة الامكانية العلمية للأشياء واذا وقع التساوي ضمن هذه الحدود فكيف سأكون قادراً على صناعة أفكار اتجاه تلك الحدود الامكانية ؟ لأني على هذا الفرض سأكون متساوي مع الورقة التي اكتب عليها حاليا ، كيف استطيع أن اتخلى عن كل شيء وأكون قادرا على وصف كل شيء في الآن نفسه ؟ إلاّ أن يكون هناك من يصف حالتنا ويستبدل البشر بآلة للقيام بهذه المهمة ؟

لكن ـ حسب تفكيري ـ ستكون تلك الآلة محدودة الخصائص أكيداً ، وأما أنها هل تحمل خصائصاً بشرية أو لا تحمل تلك الخصائص ؟ فإنها إن كانت تحملها لأرجعنا تلك الآلة بتلك المواصفات الى نقطة البداية وسيكون تصفيرنا لكل شيء بما في ذلك الطبيعة العلمية البشرية تصفيراً لا معنى له إذ أننا استبدلنا الانسان العالم بتلك الآلة ، وهذا يستبطن أن تكون هنالك فكرة عميقة اتجاه الانسان نفسه وأنّه يملك تلك القدرة الامكانية العلمية وقد تم تحديد ذلك مسبقا على صحة الفرض المذكور ، واذا كانت تلك الآلة لا

تمتلك أي خصائص للإنسان العالِم فأيّ خصائص ستمتلك اذن ؟ وتلك الخصائص إما أن تكون لأشياء ذات تراكيب تشترك مع الانسان العالم نفسه وعندها رجعنا الى تثبيت ما نفيناه ، أو لا تمتلك اي تركيب له خصائص انسانية او ما يدخل ضمن السلسلة المشتركة مع الانسان في الخصائص والتي لا يمكن تمييزها إلاّ باستعمال مراقباتنا لها ، والتي هي بدروها تحتاج الى ضابطة خاصة ربما تستند في فلسفتها على معايير ضابطة تكون هي بدورها مدار نقاش وتأمل وتحقيق فكري كفكرة الدراسة المقارنة التي ذكرتها في ورقات بحث سابقة والتي لابد أن تدخل في ايجاد موجودات من هذا النوع بحاجة إلى أن تتميز عن غيرها تمييزا فعليا كاملا ، كيف سأميزها مع وجود عقبات فلسفية في الدراسة المقارنة بين الأشياء عموما ؟

ولنرجع الى تلك الآلة التي تمتلك خصائصاً محددة ليس فيها شيئاً من التركيب الانساني أو ما يخرج معه تحت تصنيف واحد ـ على فرض صحته وامكانياتنا في بلوغه ـ فلا ادري كيف ستحكم تلك الآلة على جهلنا وعلمنا وكيف ستتصرف حيال ذلك ؟ أنا لا أملك أي تصور عن تلك الآلة ، أنا لا أملك اي فكرة كيف ستكون تلك الآلة ؟

واعتقد ان عدم علمي بما ستكون عليه هذه الآلة ناتجاً من فرض تصفيري أولاً ، لأن هذه الآلة الافتراضية تكون خالية من أي

متعلقات انسانية علمية وما يندرج تحتها او فوقها ، وهذا يقودنا الى سؤال مفاده : كيف سنتعامل مع هكذا آلة على فرض افتقادنا لكل شيء ابتداءً ؟ وهكذا سترد علينا مشاكل تصورية كبيرة فيما لو سرحنا بخيالنا اتجاه هكذا استبدالات افتراضية .

الى الآن لم أستطع أن اكتشف الاشياء التي يمكن أن توصف بأنها عالمة او جاهلة وكيف استطيع أن أضع ضابطة محددة لتلك الاشياء .

إن اقصى ما أمتلكه هو المعرفة بنفسي في حدود متفاوتة للمعرفة ، فأنا اعلم اني أُمسك القلم الآن لأكتب وأعلم أن امامي ورقة اكتب عليها واعلم بوضعية جلوسي وأعلم ... وأعلم بأمور كثيرة لكن أنا في نفس الوقت لا أعلم ما نوعية أو لون الملابس التي يرتديها القارئ لورقة البحث هذه وبالدقة حين يقرأ هذا السطر بالذات هل هذا الشيء الذي لم استطع أن أعلمه هو الجهل ؟ هل ذلك الإبهام اتجاه حالة معينة هو الجهل ؟ ما هو الجهل ؟

أنا أُفَضِّل بعد الذي قدمناه ألاّ نطلق لفظة الجهل على (الجهل الإنساني) أي ذلك الجهل الذي حدده الانسان نفسه والمتعلق بتفكيره هو دون غيره إذ إن المعروف هو أن نطلق لفظة الجهل مطلقا لتستغرق كل شيء بحسبه ، لكن هذا الاطلاق بعد الذي ذكرته من تحليل

القدرة العلمية الامكانية للأشياء ومحاولة ايجاد ضابطة حادة لها لا يمكن قبوله لصعوبة الوصول الى ذلك الشيء الذي اسمه الجهل والذي يمكن أن أنعت به الاشياء فأعتبر أن بعضها جاهلاً وبعضها عالماً ، لم أتوصل إلى ما يحدده ويقبله الى الآن وبحسب تفكيري .

إذا كان ما وصلت اليه ورقة البحث هو عدم القدرة على تحديد ضابطة للقدرة العلمية الامكانية فكيف سأتصرف اتجاه السؤال الذي انطلقنا منه وهو ما هو الجهل ؟

ويفترض الآن أن يتغير السؤال فيكون : ما هو الجهل الانساني ؟ وأقصد به الجهل الذي ينعته الانسان حين يرى حالة مطابقة لما عنده حصراً من مفهوم الجهل وكل قراءة لشيء اسمه الجهل من ناحيتنا اتجاه اي شيء آخر لا تمثل الاّ صورة منعكسة لما نفهمه نحن عن الجهل الناتجة من اتصافنا به ، إذن أرجعَتْ الورقة البحثية تحديد الجهل الى اسلوب التجريد عن إدخال اي شيء مع الفكر البشري ليصنع تعريفا عن الجهل ، لكن كيف يفهم الفكر البشري جهله ؟

أنا والقارئ حين ننظر الى هذه الكلمات المسطورة امامنا على هذه الورقة فأنا وهو لا نعلم ماذا يجري من احداث حولنا ، ربما تكون الاحداث خلف جدار الغرفة التي نجلس بها اثناء قراءة هذه السطور فهل هذا هو الشيء الذي اسمه الجهل الانساني ــ كما اتفقنا

على التسمية ـ ؟ اذا كان هذا هو الجهل فلماذا اضطررت أن أُعرّفه بنفي العلم ؟ واعتقد أن القارئ يختلف معي من أن فهمي للجهل لا يمكن أن يتحقق من دون فهمي للعلم إذ أنّه مفهوم وضع اصطلاحا كمفهوم مضاد لمفهوم العلم ، أي أنه مفهوم نفهمه بعد أن نسلب العلم عن شيء معين ولو رجعنا الى عدم علمي بما يدور حولي وخلف جدران الغرفة التي اجلس فيها فإن ما وقع هو سلب العلم عني ، أي أن هناك علم يفترض حصوله عندي وقد سلب ذلك العلم ، هذا هو الذي يمكن أن افهمه مستندا على ما ذكره المختصون في العلوم العقلية ، لكن هل ما ذكروه كاملا وليس فيه تأمل ؟

ألا نلاحظ اذا كان القارئ يتفق معي بهذه الملاحظة أنني حين لم أعلم ماذا يوجد خلف جدران غرفتي فإن عدم علمي هذا هو تركيب من العلم واللاعلم ، فأنا قبل أن أفكر ماذا يوجد خلف الجدار فأنا لم يكن عندي ذلك الشعور بالفقدان والابهام وعدم الاجابة اتجاه سؤال ماذا يوجد خلف الجدار ؟

إن القارئ الذي يتابع ورقاتي ربما يستغرب من ذكري امثلة لاكتشاف حقيقة علمية معينة فليراجع النتائج التي توصلنا اليها هناك وليعكس بظلالها على الحركة البحثية لهذه الورقة ولنرجع الى عدم علمي بما خلف الجدار ، إن افتقادي للعلم بالأشياء خلف الجدار هو امر يتولد بعد إثارة سؤال ماذا خلف الجدار ؟

ولو دققت للحظة سأجد نفسي لم اكن مهتما لما خلف الجدار او غير منتبه او غير مبالي بماذا يوجد خلف الجدار ، إذن العلم بالسؤال عما وراء الجدار ولّد ذلك الاحساس الداخلي ـ إن صح التعبير ـ بالفقدان أي فقدان العلم بما وراء الجدار .

ويحصل نفس الامر لو كنتَ جالسا بمكان هادئ ثم سمعتَ صوتا خلف جدران المكان الذي كنت جالسا فيه فعندها تسأل ماذا كان ذلك الصوت ؟ إذن السؤال عن الصوت المسموع والجهل به جاء بعد حدوثه ولولا حدوثه لما صدر ذلك السؤال أصلا ، إذن ألا نرى بأن جهلنا بالأشياء جاء بعد علمنا بحدوثها او على الاقل حصل بعد تنبهنا عليها وتحفيزنا اتجاهها وقبل التحفيز والتنبه لم يكن جهلنا بها موجودا بالمرة ؟

إذن الى هنا استطيع أن أمسك رأس خيط لكيفية ولادة جهلي بالأشياء بحسب تفكيري ، وما توصلت اليه الى هنا هو أنني لا يمكن أن يتولد في داخلي جهل إلا بعد أن يكون ذلك الجهل مسبوقا بعلم له علاقة بالشيء المجهول ، إن العلم بالجدار والعلم بوجود شيء خلف الجدار والسؤال عما هو الشيء الذي يوجد خلف الجدار كلها تمثل معلومات ولّدت مجهولاً ثم ذلك المجهول لم يكن ليبصر النور لولا وجود هذه المعلومات والكم المعتمد من المعلومات .

لو غيرنا السؤال وقلنا هل يوجد جدار أصلا ؟ فالسؤال الذي هو المجهول تولّد من معلوم وهو السؤال عن أصل وجود الجدار وهكذا لو تأملنا بما حولنا فلن نجد أنّ هناك جهل نقي لم يولد من علم وولد من جهل .

ولأحاول الآن أن افكر بأسلوب آخر وهو أن نأخذ إنساناً عنده معلومات ، فإننا وفقا لما أسسناه فإن ذلك الانسان سيكون عنده مجهولات بسبب تلك المعلومات ، فكلما زادت معلوماته زادت مجهولاته ، وإذا تحركنا بالعكس هل أنّ المعلوم المتولد يؤدي الى الجهل بمعنى أن كل معلوم يتولد عندي فلا بد أن يرافقه مجهول ، لا امتلك جوابا دقيقا على هذا السؤال ، إذ إنني احتاج أن استقرئ المعلومات لأخرج بنتيجة دقيقة للسؤال الذي عرضته ، وبعبارة اخرى هل يمكن أن أصل الى معلوم لا يرافقه مجهول ؟

بحسب تفكيري لا يمكن أن أصل الى معلوم لا يلازمه مجهول أبداً ، إذ أنني أرى أن مجرد إضفاء الوجود على شيء فأول سؤال يلازمه هو ما هو ذلك الوجود ؟ ولا يمكن أن نقبل بحسب تفكيري وجوداً من دون معرفة هويته ، وحتى قولنا للاستدلال عن شيء معين (وجود ما) فإننا بالحقيقة لم نتنازل عن وجود مجهول لهذا المعلوم بل كل ما في الامر أنّنا وقّفنا (عطّلنا) السؤال عن هوية ذلك الموجود لغاية محددة في البحث ، اذن مجرد تفكيرنا بتحقق شيء

ووجوده ابتداءً فإن السؤال سيلازمه لا محالة والسؤال الذي لا يمتلك جواباً هو مجهول .

الى الآن صارت الامور اكثر وضوحا ، فقد تبين أنني يمكن أن أسأل سؤالا عن معلوم لا امتلك جوابا له ، إذن هل يمكن أن أعرّف المجهول بأنه هو عبارة عن جواب مفقود لسؤال عن معلوم يلازم ذلك المعلوم ملازمة ذاتية ولا ينفك عنه ؟

الى هنا صار عندنا ان المعلوم وحده لا يولد مجهولا بل يحتاج ان يوجه الى ذلك المعلوم سؤالا فصار المجهول الى هذه النقطة من السير البحثي هو عبارة عن اجوبة مفقودة لأسئلة موجهة الى المعلوم او تكون محفوفة به ملازمة له تظهر بالالتفات والتنبيه .

إذن بيئة انتعاش المجهول هي وجود معلوم وأسئلة تدور حول ذلك المعلوم لا نعرف اجوبتها ، ولو رفعنا المعلوم سيرتفع المجهول اذ لا محور تدور حوله الاسئلة ولو رفعنا الاسئلة التي تفتقد الى جواب عن ذلك المحور لأرتفع المجهول ايضا ، ولو تقدمنا خطوة في البحث فإننا سنصل الى نتائج اخرى لا تقل اهمية عما ذكرنا ، فهل يمكن أن نقول أن المعلوم إذا تكاثر تكاثر تبعاً له المجهول ؟

وهل يمكننا أن نقول لو كثّرنا الأسئلة حول المعلوم سيكثر المجهول ؟ ولو صح هذا وذاك فهل يمكن القول ان تكاثر المعلومات مع الاسئلة سيؤدي بالنتيجة النهائية الى تكاثر المجهولات ؟

بحسب ما ذكرناه فإن الإجابة على كل تلك الأسئلة هو جواب إيجابي إذ لا أمتلك بحسب تفكيري إي جواب سلبي اتجاه هذه الأسئلة بعد الذي قدمته من تعريف للمجهول ، فإذا كانت بيئة انتعاشه وجود معلوم واسئلة تدور حول ذلك المعلوم سيكون متكثرا ومتزايدا كلما تحققت بيئة المجهول الحاضنة للمعلوم والاسئلة المحفوفة به ، ولكي أتأكد أكثر سأحاول أن افترض أن المجهول لا يزداد بزيادة المعلوم فهل هذا الفرض صحيح ؟

لا أرى بحسب تفكيري أي احتمال لصحة هذا الفرض ولا أعرف لماذا تفكيري يحاول أن يوجد علاقة مطردة بين المجهول والمعلوم وكلما ازداد المعلوم زاد نتيجة له المجهول ؟ ألا يحتاج مني هذا الامر أن أمر مرورا سريعا على ذلك الشيء الذي اسمه المعلوم إذا كنت قد عرفت المجهول بأنه أجوبة مفقودة لأسئلة موجهة نحو معلوم ، فهل يمكن أن أُعرّف المعلوم بأنه أجوبة محتملة لأسئلة موجهة نحو مجهول ؟ فسيكون المجهول والاجوبة المتحصلة من اسئلة موجهة نحو المعلوم هو بيئة انتعاش المعلوم نفسه والزيادة الحاصلة في المجهول والزيادة في الاجوبة المتحصلة منه تودي الى زيادة المجهول .

لكن ألا نلاحظ اننا لو فصلنا هذه المحاور الرئيسية فإننا سنحصل على نتائج غريبة بعض الشيء ، فإنني سأقول كلما أزيد المجهول سيزداد عندي المعلوم فهل هذه النتيجة مقبولة ؟

لا اعتقد وبحسب تفكيري انها مقبولة بمفردها ولكن لو قلنا هكذا بأننا كلما زيدنا المجهول وزيدنا بالتساوق معه الأجوبة المتحصلة من تلك المجاهيل المتزايدة فعندها سيكون كلامي أكثر مقبولية فكرية وهذا واضح ، لا اعرف بالدقة ما هي أسباب قبولي بالثاني دون الأول من الكلام لكن اعتقد أن الموضوع ونتيجته يجعلاننا نعيد النظر بما ذكرناه قبل هذا وهو ان زيادة المعلوم سيقود بمفرده الى زيادة المجهول ، ولا أعتقد أن هذا الرأي ـ وفق ما ذكرناه قبل قليل ـ صحيح لأنني لا أستطيع أن اتخيل كيف أن زيادة المجهول وحده تؤدي الى زيادة المعلوم لو جعلت المجهول محوراً ، فإذا عجزنا فكرياً عن قبول هذه النتيجة إذن من الطبيعي ألاّ أتخيل كيف يمكن للمجهول أن يزداد بزيادة المعلوم وحده ، لا أرى بحسب تفكيري أي معنى لتلك الزيادة لمجرد وجود المعلوم وحده وإذا كان هنالك زيادة فلابد أن يضم لها تلك الاسئلة التي ليس لها اجوبة حتى يتكثر ذلك المجهول تبعا لتكثر المعلوم ، لكن لنتذكر ان تلك الزيادة لا يمكن ان تقع وحدها .

سأوضح الأمر بافتراض أني أنظر الآن الى هذه الورقة فإنني استطيع أن أصنع المجاهيل حول هذه الورقة (لا انسى اني يجب أن أراعي نتائج المثال الممنوع[٣]) بمجرد اثارة الاسئلة حولها وتزداد المجاهيل كلما تكثرت تلك الاسئلة المفتقدة للأجوبة حول هذه الورقة ، ما لونها ؟ ما ابعادها ؟ ما وزنها ؟ ما سمكها ؟ من أي مادة صنعت ؟ ما مقدار الطاقة التي تولدها لو احترقت ؟ كم تستغرق لتبلى ويختفي أثرها ؟ كل هذه وغيرها مما تجنبت ذكره هي أسئلة تدور حول المعلوم إذا افتقدت الى الأجوبة صارت مجاهيل كثيرة، إذن لكي نزيد تلك المجاهيل نحتاج بعد وجود المعلوم أن نزيد عدد الأسئلة .

ولو تأملنا بالسؤال سنجده عبارة عن معلوم مسبق في فكري أيضاً ، لكن ذلك المعلوم يختلف عن المعلومات الاخرى فهو معلوم اكثر اتساعا ولا أجده بشكل مستقل في الخارج الذي يناله حسي ، ولو أخذت امثلة للتوضيح للقارئ ـ مع اخذي بطبيعة الحال لنتائج المثال الممنوع ـ فالطول معلوم والعرض معلوم والسرعة معلومة والقدرة والقوة واللون والحجم ... الخ معلومات بغض النظر كيف اكتشفنا تلك المعلومات فهذا مما لا أُفضّل أن أبحثه في هذه الورقة لأنه قد يخرجنا عن حدودها ، لكن أرجع واقول أن الفكرة التي ذكرتها

(٣)سلسلة ورقة بحث (١٠) : المثال الممنوع .

بخصوص أن المجهول يحتاج بالدرجة الأولى إلى وجود معلوم لا تزال قائمة وهي تعمل الى هذه اللحظة بشكل جيد .

لكن يبقى السؤال عن السؤال قائماً ، فما هو السؤال ؟ ولماذا يظهر السؤال في تفكيري ؟ أنا أفضّل أن أترك الإجابة ضمن حدود هذه الورقة وافكر بطريقة أخرى بعد أن عرفت ولو بمستوى متواضع العلاقة الوثيقة بين المجهول والمعلوم ، وأستطيع أيضاً أن أكون متأكداً فكرياً من أن زيادة المعلوم سيؤدي الى زيادة المجهول بشرط أن يكون ذلك المعلوم محفوفاً بأسئلة تفتقد الى الإجابات ، والأسئلة بدورها هي حركة فكرية حول معلوم محدد .

بعد أن عرفت كل هذا بقي عندي أمر هو أنّي قلت أن المجهول الذي تعاملت معه إلى الآن هو المجهول الانساني أي الخاص بي أنا باعتباري إنسان بالمعنى الاصطلاحي للفظة ، فإذا كان هذا هو المجهول الانساني ، مجهولاً يرافقه المعلوم باستمرار ، فهل يوجد بالحقيقة شيء أسمه المجهول ؟

أنا أرى بحسب تفكيري أن استعمال لفظة المجهول قد يخفي شيئاً مما يختبئ وراءه ، أنا أفضّل أن أقول عدم العلم ، وربما يضحك القارئ وهو يقرأ هذه الفكرة مني ويتساءل ما بال هذه الكاتب هل

هو غبي الى درجة انه لم يفرق بين الجهل الذي هو تعبير اصطلاحي لعدم العلم وبين عدم العلم ؟

فأقول بحسب تفكيري إن عدم العلم يبين أن الذي يوجد ابتداءً هو المعلوم ، أما المجهول فهو سؤال غير مجاب موجه لجهة من جهات المعلوم فإذا أجيب صار معلوماً ، فالمجهول إذن سؤال غير مجاب اتجاه معلوم اما المعلوم فهو معلوم . لكن قد يقال أن المعلوم ايضا هو مولود لسؤال مجاب ، وأقول الا نلاحظ أن المعلوم أكثر استقرارا من المجهول ، فالمعلوم يضطرب إذا تعرض الى سؤال ـ وافترض ان ذلك السؤال صحيحاً ـ لكن المجهول لا بيئة له الا بيئة الاضطراب بالسؤال ، فاضطرابه أخذه من اضطراب السؤال .

قد يكون كلامي الى هنا غير دقيق ، إذ ما معنى الاضطراب ؟ ومن يحدده ؟ وما هي درجته ؟ وما أراه بحسب تفكيري أنّ الاضطراب هو مشاعر أشعر بها يسببها التفكير ، فالسؤال هو ضربات من الفكر توجه لمعلوم محدد بذاته يتزعزع بعدها ذلك المعلوم ، لكن يمكن أن أفكر بأسلوب آخر فأقول إن المتحقق ابتداء هو المجهول ثم يبدأ المعلوم بالعروض على ذلك المجهول وسيكون عندها المجهول مستقراً بالسؤال والمعلوم سيوجه ضربات لذلك المجهول بالإجابة على تلك الاسئلة .

والى الآن الكفة متساوية في أن يكون المعلوم والمجهول لهما نفس الفرصة من ان يكون أحدهما متحققاً ابتداءً والاخر ليس كذلك ، وربما سأستعير لفظة الأصيل إن صح استعمالها لأبين أسبقية التحقق ، فلمن تكون الاصالة ، للمعلوم ام للمجهول ؟

ربما يكون سؤالي هذا تافهاً بعض الشيء ، فما معنى أن يكون المعلوم أصيلاً ومتحققاً ابتداء او أن يكون المجهول كذلك ايضا ، ووجه التفاهة يكمن في أني حين أبدأ بالبحث عن هكذا سؤال فإن سؤالي هنا يتضمن الأمرين في مستوى واحد ، فهو من جهة يمكن أن يكون علما ومن جهة أخرى يمكن أن يكون جهلا بالاعتماد على ما ذكرناه حيث أن المجهول هو فقدان إجابات لأسئلة موجهة لمعلوم ما فكيف سأبحث عن أصالة المعلوم أو المجهول بتفكيري هذا الذي هو مليء بالمعلومات ومليء بالمجهولات أيضاً ؟

الى الآن لا أستطيع أن اكتشف هذا الأمر وهو مَنِ المتحقق ابتداءً ، هل هو المعلوم أم المجهول ؟ لا ادري كيف سأحل هذه المشكلة .

لكن قبل اقتراح طريقة للحل ، يحق للقارئ أن يعرف ما فائدة معرفتنا أن الأصالة للمعلوم أم للمجهول ؟ ولماذا تعمقنا في البحث عمّن يكون هو المتحقق ابتداء ؟ في تصوري إن هذا نافع في اكتشاف

الفكر ، فالفكر الذي يبدأ من معلوم يختلف عن الفكر الذي يبدأ قصة معرفته من مجهول ، لكن ما فرق الفكر في الحالتين ؟

حسب تفكيري فإن الفكر الذي يبدأ من المعلوم يفترض أنه اكتسب علماً وإلاّ فكيف بدأ الفكر من معلوم ؟

وهذا العلم يفترض أن يكون له منبع وهذا المنبع إما أن يكون مودعا في الفكر او اكتسبه بحواسه من الخارج ؟ ولا اريد ان أعيد ما ذكرته في بحوث سابقة وليراجع القارئ ما ذكرته هناك لكن النتيجة هي أنني لا أتفق مع وجود المعرفة القبلية المسبقة وهذه المعرفة ربما ستكون مبرراً كافياً على فرض وجودها لاعتبار أسبقية المعلوم واعتبارية المجهول ، لذا وبعبارة اخرى فإن اكتشاف أسبقية المعلوم او المجهول نافعة في تحديد المعرفة المسبقة للفكر أو عدم أسبقيتها ، لكن اعتقد أن هذا التحديد معتمد على فرض أن المجهول يمثل اللاعلم مطلقا لكن المجهول وبحسب تعريفنا هو إجابات مفقودة لأسئلة موجهة حول معلوم ما ، إذن المجهول وحسب ما قدمناه يفترض تضمن المعلوم فيه ، وعندها سنكتشف أننا لا يمكن ان نتخلص من شيء اسمه المعلوم سواء فرضنا المعلوم له الاسبقية والتحقق الابتدائي قبل المجهول او العكس .

إن عدم تخلصنا من المعلوم يوحي بأسبقيته وتقدمه على المجهول لكن الا تجعلنا هذه النتيجة نسأل سؤالا : من أين جاء هذا المعلوم ؟

هل يمكن ان يوجد المعلوم من دون الحاجة للبحث عن مجهول محدد ؟ واذا أمكن ذلك فكيف سيوجد من دون أن يكون هنالك مجهولاً قد تعرض لأسئلة مسبقة قد تم الإجابة عنها فتلك الإجابات هي المعلوم . لكن هل يمكن أن أفكر بأسلوب آخر وهو أن يوجد معلوم من دون أي حاجة الى مجهول ؟

لكن كيف سأتصور ذلك المعلوم من دون مجهول او قل من دون ان يكون هنالك مجهولاً متحققاً ابتداء يتعرض لمجموعة من الأسئلة والمعلوم هو إجابات لتلك الأسئلة ؟

لكن ماذا عمّا يلتقطه حسي من معلومات هي ليست بحاجة الى شيء أسمه المجهول ، فأنا أرى هذا القلم امامي وارى هذه الورقة البيضاء امامي ، هل رؤيتي هذه تطلبت معرفة المجهول ؟

قد يكون جوابي أن رؤيتي لم تحتج الى مجهول أصلاً وفي أي مرحلة من مراحل التقاطي العلمي للأشياء فأنا لم احتج الى خطوة وسطية اتجاه ذلك المعلوم وهي المجهول ، إن عملية الالتقاط قد تحققت بشكل كلي من دون حاجة الى سؤال لكن هل يمكن أن يكون هنالك سؤالا متضمنا في تلك الالتقاطة المعلوماتية ، فأنا حين

أنظر الى القلم الذي اكتب به حاليا فنظرتي ومعرفتي بالقلم تتضمن سؤالا مفاده ماذا أُمسك بيدي ؟ او سؤالا عن طول القلم او شكل القلم او كمية الحبر بالقلم ؟ اذن يمكن القول ان السؤال متضمن في داخل ذلك المعلوم ، الى هذه النقطة ماذا نفعل ؟ وكيف سنتعامل مع ما وصل اليه البحث العلمي ضمن هذه الحدود المعرفية ؟

لأرجع الى تضمن السؤال في المعلوم وبالتالي تضمن المجهول في المعلوم ، لماذا لا أحاول أن أفكر بطريقة مختلفة ، وسأبدأ بفكرة بسيطة ، إذا كنت وأنا بهذا العمر قد امتلكت كماً كبيراً من المعلومات فلو حاولت أن أتخلص من هذه المعلومات كلها ، فعلى ماذا سأحصل ؟ يعني لو افترضت أن معلوماتي تزداد منذ اليوم الاول لولادتي الى محطة عمري التي أنا بها الآن إذن استطيع ان اتخيل بطريقة عكسية ان اتراجع بسنوات عمري سنة بعد سنة وسأفترض أن كل سنة ازددت بها كما معلوماتيا سأخرجها وأطرحها بالكامل وهكذا فإلى اين سأصل يا ترى ؟

اعتقد وبحسب تفكيري أني بعد افتراضي تزايد المعلومات بزيادة السنين فإن نقصانها سينقص تلك المعلومات فعلياً وهكذا نستمر بسلب المعلومات بطريقة مطردة مع عمر الإنسان حتى نصل الى سنته الأولى فنسلبها ايضاً وبعدها على ماذا سنحصل ؟

يفترض أن نحصل على عمر مقداره صفر من السنين وعلى معلومات مقدارها صفر من المعلومات هذا باعتبار صحة هذه الحركة العكسية ، اذن يمكن القول ولو من الناحية النظرية البحثية أن اللحظات الاولى ما بعد ولادة الانسان هي اللحظة التي يمكن اعتبار لا علم يمتلكه الإنسان بالكامل فيها وبالتالي لا جهل ايضا ، إذ إن قولنا بوجود جهل يعني افتراض وجود معلوم في المرتبة السابقة لذا ليس من الصحيح أن نَصِف تلك اللحظة الزمنية بالجهل كما ليس من الصحيح وصفها بالعلم وعلى الأقل ان نسميها (لا علم) حتى أنفي العلم والجهل معاً .

الجهل هو افتقاد أسئلة حول معلوم ما ، ولا يقال أن فقدان الاجابات لتلك الأسئلة المفقودة يعني جهل ، فإن تلك الاجابات المفقودة لا يمكن وصفها بأنها اجابات مفقودة ، لأننا نتوقع عدم وجود معلوم او نفترض ذلك على الاقل في اللحظات الاولى بعد الولادة اذ لا وجود لمعلوم ولا وجود لمجهول أيضا إنما الموجود والمتحقق هو (اللاعلم) وهو الوصف الاكثر دقة بحسب تفكيري ، وهذه اللحظة في عمر الانسان هي لحظة نادرة وقصيرة جدا أما باقي عمره فهو منتقل من العلم الى الجهل او العكس وأما لحظات اللاعلم بمعنى لا وجود لمعلوم ولا لمجهول فهي اللحظات الاولى بعد ولادته .

لكن لماذا لا نسميها اللاجهل ؟ بحسب تفكيري فإن استعمال اللاجهل اي نفي الجهل يتطلب وجود العلم كنتيجة ، وقد يكون نفس هذا القدر بالنسبة لقولي اللاعلم فنتيجته الجهل باعتبار التقابل بينهما لكن أنا أجد أنّ هنالك فارقا بين الاثنين رغم التكافؤ التفكيري بينهما .

ان قولي اللاعلم يشير الى الحالة التي تحصل أولاً بعد لحظات ولادته وهي العلم ، فالإنسان يكون في مرحلة اللاعلم (اي لا علم ولا جهل) ثم أول شيء سيحصل عنده ليس الجهل بل هو العلم وهو نفي اللاعلم الى العلم وليس نفي اللاعلم ـ اعني الجهل.

يمكن أن تكون نتائج هذه الورقة نقطة انطلاق الى علماء المعقول والفلاسفة في التأسيس لحالة معرفية جديدة لم تظهر في تقسيماتهم العقلية وأعني بذلك حالة ارتفاع العلم والجهل في الفكر البشري في لحظة معينة من لحظات وجوده ، ويمكن أن نسمي تلك الحالة بالحالة المعرفية الثالثة وهي خاصة بالفكر البشري في لحظات ما بعد ولادته .

إن ما حاولت اكتشافه في هذه الورقة هو كيف يمكننا تصور الفكر البشري في فترة مبكرة جدا وضيقة جدا ومجهولة لأغلب الدراسات العلمية ؟ وهي تنفعنا في مليء منطقة فراغ فكري مهملة نوعاً ما على الاقل من الناحية الفلسفية وكذلك رفد الفكر البشري

بتعريفات جديدة لاهم ركنين ـ حسب تفكيري ـ في نظرية المعرفة وهما العلم والجهل ، وكذلك تجديد الثقة بالقدرة الاستنتاجية الإبداعية للفكر البشري في كشف كنه بعض الألغاز العلمية في زماننا والتي لم يكن بمقدور التخصصات العلمية أن تنالها لو بقيت تعاملها بأساليب بحثية تقليدية من دون محاولة لتناولها بنظرة جديدة وأسلوب تفكيري مختلف .

لقد كتبت هذه الورقة البحثية لغايات أراها مهمة من الناحية البحثية العلمية ، فبالرغم أنها مملة للقارئ وصعبة ـ كما هو شأن جميع ورقات البحث السابقة ـ الا انها نافعة في تسليط الضوء على منطقة معرفية مجهولة نوعا ما ولم يبحث فيها سابقا حسب تتبعي المحدود وهي منطقة دراسة العلم في لحظات ما بعد الولادة البشرية الاعتيادية المتعارفة عندنا اضافة الى الفضول العلمي الذي دفعني ان ابحث في لحظة حساسة في عمر الانسان وهي لحظة ولادته او بمعنى ادق لحظات ما بعد ولادته .

ميثاق طالب كاظم الظالمي

٣ / جمادى الاخرة / ١٤٣٧ هـ

الموافق ٢ / ٣ / ٢٠١٧ م

صدر للمؤلف

١. اسم الزمان العلمي في المشتق الاصولي .
٢. قواعد في المستقبل المعنوي .
٣. قواعد في المستقبل الفكري .
٤. بين التوهم والتعقل ـ فلاسفة الأديان في الميزان .
٥. رحيق الحكمة .
٦. سلسلة ورقة بحث (١) : فكرة تهذيب المنهج (العلمي – القرآني) / البحث (الفيزيائي ـ القرآني) نموذجاً .
٧. سلسلة ورقة بحث (٢) : ضرورة الموقع العلمي للظن في معادلة المعرفة .
٨. سلسلة ورقة بحث (٣) : دحض المعايير الطبيعية في نظرتها للفلسفة الأخلاقية .
٩. سلسلة ورقة بحث (٤) : هل يمكن أن تكون بعض فروع الدين اصوله .
١٠. سلسلة ورقة بحث (٥) : ديناميكية العقلين .
١١. سلسلة ورقة بحث (٦) : المعنى الحقيقي للماهية وبطلان دعوى أصالتها مع الوجود .
١٢. سلسلة ورقة بحث (٧) : التجربة المعرفية المتعالية .
١٣. سلسلة ورقة بحث (٨) : أساسيات علم منطق اللامنطق .
١٤. سلسلة ورقة بحث (٩) : لو كان الله مجرد فكرة .
١٥. سلسلة ورقة بحث (١٠) : المثال الممنوع .
١٦. سلسلة ورقة بحث (١١) : البرهان على عدم ثبوت اسلوبنا في تفسير القرآن بالقرآن .
١٧. سلسلة ورقة بحث (١٢) : العقبات الفكرية في البحث المقارن .
١٨. سلسلة ورقة بحث (١٣) : صدمة الفكر في البحث عن اللامحسوس .
١٩. سلسلة ورقة بحث (١٤) : الحالة المعرفية الثالثة .



إن ما حاولت اكتشافه في هذه الورقة هو كيف يمكننا تصور الفكر البشري في فترة مبكرة جدا وضيقة جدا ومجهولة لأغلب الدراسات العلمية ؛ وهي تنفعنا في مليء منطقة فراغ فكري مهملة نوعاً ما على الاقل من الناحية الفلسفية .

للاستفسار
quran.wisdom2016@gmail.com
07800378214 - 07822723131